9

ابن البلد

عاشقة كنت وفي نسغي يسري عشق حبيبي وحده ووحده فقط.

كان رجلي ابن البلد يستند على أرض صلبة، مثله مثل الآخرين. أتعلم منه كل ما يمكن لبلد أن يهبه لأبناء لا يحملون مثلي عبء وطن على كاهلهم. هاقد أخفيت حقائبي بعيدًا، لم أعد أريدها مصفوفة فوق الرفوف. لا حقائب حقيقية ولا رمزية بعد اليوم. أعيش معه في شقته الجميلة رجلي المثقف الذي يتمتع بحقوق ابن البلد. لن أزور "قسم الأجانب" في المحافظة بعد اليوم. انتابني شعور بالارتياح لا يشوبه أدنى شك بأني أخون أهلي وأصحابي أو انحرف عن الطريق الصحيح. ربما كانت الغيرة تنهشهم ويقولون أني نفذت بجلدي وتركتهم في الوحل. لم أكن أكترث في أعماقي

وبتّ أعتقد بأن جزائريتي خالدة، بأنها مكسب مقابل كل ما انتزع مني. كل من حولي يوجه نحوي نظرات غريبة فأنا التحقت بالغريب، يضعون الحق عليه، فالغرباء لا يدركون نكبتنا وهو يأخذني بعيدًا عن قضيتنا وقدر أمتنا. لكنني سأنجب أولادًا ينتمون له ولن أهتم بالثرثرة حولي وسأعيش في وئام مع جيراني أفعل ما يفعلون وأتشبه بهم في كل شيء كي لا يسموني بالغريبة، كل شيء من تنظيف البيت إلى التسوق والطبخ. لم أكن أفكر بالرحيل لا إلى فرنسا ولا إلى بلدي "اللي ما بيتسمى".

كبر طفلاي الجميلان بين الأهل وكنت فخورة لهذا. لم يكونا ابنا الفلسطينية إنما أبناء الكنز. يذهبان في الصباح إلى المدرسة الجزائرية ويقفان أمام تحية العلم الصباحية كل بداية أسبوع. غالبًا ما كنت أشارك في هذه التحية الصباحية وينتابني الانفعال لدرجة تغرورق معها عيناي بالدموع وتجعل صديقاتي يسخرن مني.

مسني نوع من حمى وطنية وسيطر علي ما كان يصيبني بالخجل مرات. كنت وبسبب من "عالميتي" أدرك محدودية الشعور القومي وأعرف نتائجه الكارثية غالبًا في تاريخ الشعوب، لكنني صممت آذاني عن كل هذا. كنت أغني النشيد العالمي وأنا أحلم بوطن. الآن أريد أن أنتمي لوطن وحين تتحقق هذه الأمنية بإمكاني أن أغني كل أناشيد العالم وأشعاره عن المواطنة بلا حدود وعن ضرورة نسج ومزج روابط وعلاقات بين كل أبناء الخليقة. ليعطوني وطنًا وأقسم أنني لن أصبح فاشية بمشاعري الوطنية!

سنوات بعدها، لم يعيدوا لي وطني ولم يكتفوا بهذا بل انتزعوا مني البديل. ذهبت جزائريّ مني، والأسوأ من هذا أنهم انتزعوها كذلك من ابن البلد نفسه، من كنزي.